جَـاءَتْـكَ تَـطْـفَـحُ وَهْـيَ فَـارِغَـةٌ
مَـشْـنَـى بِـهِ وَتَـظُـنُّـهَـا فَـرْدَا[١]
تَـأْبَـى خَـلَائِـقُـكَ الَّـتِـي شَـرُفَـتْ
أَنْ لَا تَـجِـنَّ وتَـذْكُـرَ الْـعَـهْـدَا[٢]
لَـوْ كُـنْـتَ عَـصْـراً مُـنْـبِـتـاً زَهَـراً
كُـنْـتَ الـرَّبِـيـعَ وَكَـانَـتِ الْـوَرْدَا[٣]

قواف كالمرقد

نام أبو بكر الطائي وهو ينشد، فقال:

[الكامل]

إنَّ الـقَـوَافِـيَ لـم تُـنِـمْـكَ وإنَّـمـا
مَـحَـقَـتْـكَ حَـتَّـى صِـرْتَ مـا لا يُـوجَـدُ[٤]
فَـكَـأنَّ أُذْنَـكَ فُـوكَ حِـيـنَ سَـمِـعْـتَـهَـا
وكـأنَّـهَـا مِـمَّـا سَـكِـرْتَ الـمُـرْقِـدُ[٥]

= يطلب الشاعر من ممدوحه الكفّ عن إرسال الهدايا، فحبّه ملك عليه وجدانه، وهو يُجاريه على ذلك آيات من الحمد والشكر التي كتبها تعبيراً عمَّا يكنّه له من صدق المشاعر.

(١) و (٢) تطفح: تمتلئ. كان ردّ الشاعر تعبيراً عن عرفان، فرغم فراغ الجامة، فقد امتلأت على جوانبها شعراً خالداً، إذ بها شيئان رغم فراغ ما فيها من قبل الممدوح؛ ومن صفات الممدوح أنه لا ينسى العهود.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٣. العصر: الدهر. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأنه لو كان زمان ينبت الزهر، فهو ربيع وأخلاقه ورد ينشر عبيره في الآفاق.

(٤) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢: ١٢٤. من مماحكات المتنبي مع بعض الشعراء المعاصرين له هذان البيتان؛ فهو ينعى على أبي بكر الطائي نومه؛ فلم يكن شعره سبب نومه، بل حسده للمتنبي حمله على النوم، فكان أن سحقه وأبطل وجوده فبات عدماً.

(٥) المُرْقد: المنوّم. يُشبّه الشاعر بمنوّم، لذا ما إن سمعه أبو بكر حتى راح يغطّ في نومه كأنه شرب دواءً منوّماً.